



«بِمَا هَذَا .... هَلْ تَسْمَعُ هَذَا الصَّوْتِ  
الْغَرِيبَ يَا أَبَتِ ؟  
«نَعَمْ يَا بَنِيَّ»  
«أَهْوِ رَعْدُ ؟»  
«لَا . كَانَ يَبْدُو أَنَّ يُكُونُ رَعْدًا . إِنْ  
هَذَا قَرَعُ الطُّبُولِ ، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْهُدُودَ يَسْتَعِدُّونَ  
لِلْحَرْبِ . وَالْوَيْلَ لَنَا إِذَا تَجَمَّعُوا وَهَاجَمُونَا»  
دَارَ هَذَا الْحَدِيثُ بَيْنَ أَحَدِ الْمُهَاجِرِينَ  
الْإِنْجِلِيزِ وَابْنِهِ ، وَكَانَا يَقْطَعَانِ فِي مَنَاطِقَةِ الْهُنُودِ  
الْحُمْرِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ قَفَزَ الْوَالِدُ فَجْأَةً ،  
وَانْتَزَعَ عِندَ رَأْسِهِ مِنَ الْحَاطِطِ وَصَوَّبَهَا تَحْوِ النَّافِذَةِ ،  
وَالْتَفَتَ ابْنُهُ بِسُرْعَةٍ ، فَرَأَى وَجْهًا أَسْمَرَ نَاحِلًا  
يَعْرِفُهُ ، فَصَرَخَ قَائِلًا : «لَا تُطْلِقِ النَّارَ يَا أَبِي ،  
إِنَّ هَذِهِ «شُعَاعُ الْقَمَرِ» الْفَتَاةُ الْهِنْدِيَّةُ الصَّغِيرَةُ ،

وَلَا بُدَّ أَنَّهَا جَاءَتْ تَحْمِلُ إِلَيْنَا خَبْرًا ذَا بَالٍ ،  
فَاسْمَحْ لِي بِإِذْخَالِهَا .  
وَرَدَّدَ الْوَالِدُ قَلِيلًا ، خَافَةً أَنْ تَكُونَ الْفَتَاةُ  
إِلْحَدَى الْجَوَاسِيسِ ، وَلَكِنَّ ابْنَهُ طَمَأنَهُ قَائِلًا :  
«قَدْ تَكُونُ (شُعَاعُ الْقَمَرِ) هِنْدِيَّةً ، وَلَكِنَّهَا  
صَدِيقَةٌ مُخْلِصَةٌ ، وَكَثِيرًا مَا لَعِينَا مِمَّا ؛ فَأَنَا  
أَعْرِفُهَا حَقَّ الْمَعْرِفَةِ .» ثُمَّ قَامَ وَفَتَحَ الْبَابَ ،  
وَدَخَلَتِ الْفَتَاةُ ، تَهْدُو عَلَيْهَا أُمَارَاتُ النَّعْبِ  
وَالْإِنْرِعَاجِ ، وَقَالَتْ : «لَقَدْ لَعِبْتُ مَعَ صَدِيقِي  
هَذَا كَثِيرًا ، فَأَنْتُمْ أَصْدِقَائِي ، وَلِذَا جِئْتُ  
لِاحْذَرِكُمْ وَانْذِرِكُمْ بِأَنَّ عَمِّي «الشُّعْلَبُ الْأَحْمَرُ»  
قَدْ نَازَ ضِدَّ صُفْرِ الْوُجُوهِ (تَقْصِدُ الْإِنْجِلِيزَ) ،  
فَعَلَيْكُمْ بِالْإِسْرَاعِ فِي الرَّحِيلِ مِنْ هُنَا قَبْلَمَا  
يَقْتُلُكُمْ . وَهُوَ الْآنَ فِي انتِظَارِ إِشَارَةٍ مِنْ

صَدِيقِهِ « جَنَاحَ النَّسْرِ » رُبِيسَ قَبِيلَةٍ « ذَوِي  
الْأَقْدَامِ السُّودِ » ، فَإِذَا وَافَقَهُ الصَّدِيقُ عَلَى  
الْقِتَالِ ، قَامَتِ الْقَبِيلَتَانِ مَعًا بِمُهَاجَةِ الْمُهَاجِرِينَ  
مِنَ الصُّفْرِ . فَقَالَ لَهَا الْوَالِدُ : « وَمَنْ يَصِلُ  
لِعَمَلِكَ الرَّذْ ، وَكَيْفَ يَأْتِيهِ ؟ »

شُعَاعُ الْقَمَرِ : « سَيَأْتِيهِ الرَّذْ هَذَا الْمَسَاءَ مَعَ  
رَسُولٍ . فَإِذَا عَادَ الرَّسُولُ حَامِلًا فَلَسًا يَيْضًا ،  
كَانَ مَعِيَ ذَلِكَ أَنَّ « ذَوِي الْأَقْدَامِ السُّودِ »  
لَا يُرِيدُونَ الْقِتَالَ . أَمَّا إِذَا عَادَ حَامِلًا فَلَسًا سَحَرَاءَ ،  
كَانَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ الْإِسْتِعْدَادُ لِلْقِتَالِ . وَالْآنَ  
يَجِبُ أَنْ أَعُودَ إِلَى عَمِّي ، فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ بِخُضُورِي  
إِلَى هُنَا لَقَتَلَنِي عَلَى الْقَوْرِ . »

وَقَامَ الْوَلَدُ فَفَتَحَ الْبَابَ لِشُعَاعِ الْقَمَرِ ،  
وَشَكَرَهَا عَلَى عَطْفِهَا وَتَعْرِضِهَا لِنَفْسِهَا لِلْأَخْطَارِ  
مِنْ أَجْلِهِ ، ثُمَّ وَدَّعَهَا وَانْصَرَفَتْ . وَلَمَّا عَادَ ،  
وَجَدَ وَالِدَهُ يَحْشُو غَدَارَتَهُ بِالرَّصَاصِ ، فَقَالَ لَهُ :  
« مَاذَا تَنْوِي عَمَلَهُ يَا وَالِدِي ؟ »

الْوَالِدُ : « سَأَذْهَبُ وَأُخْبِيهِ فِي الْغَائِبَةِ ،  
حَيْثُ أَتَنَظَّرُ مُرُورَ الرَّسُولِ ؛ فَإِذَا كَانَ حَامِلًا  
فَلَسًا يَيْضًا تَرَكْنَاهُ يَمْرُؤًا ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ حَامِلًا  
فَلَسًا سَحَرَاءَ ، أَسَرَّتُهُ ، وَذَهَبْتُ بِدَلَّةٍ ، حَامِلًا

فَلَسًا يَيْضًا . »

الْوَلَدُ : « لَا يَا وَالِدِي . لَا تَذْهَبِ .  
إِنَّ هَذِهِ خُطْرَةٌ كَبِيرَةٌ بِحَيَاتِكَ . »

الْوَالِدُ : « الْوَاجِبُ يَدْعُونِي لِلذَّهَابِ  
لِحِمَايَةِ جَمِيعِ إِخْوَانِنَا الْإِنْجِلِيزِ الْمُبْتَدِرِينَ فِي هَذِهِ  
الْمِنْطَقَةِ . فَالْوَدَاعُ يَا بُدَّ . أَقْبِلِ الْبَابَ جَيِّدًا ،  
وَاحْتَرَسْ لِنَفْسِكَ ، »

الْوَلَدُ : « الْوَدَاعُ يَا وَالِدِي . أَتَمَّتْ لَكَ  
التَّوْفِيقُ . »

وَخَرَجَ الْوَالِدُ فِي الظَّلَامِ الدَّامِسِ ، وَبَقِيَ  
ابْنُهُ فِي الْكُؤُوسِ ، بَعْدَ أَنْ أَحْكَمَ إِغْلَاقَ  
الْبَابِ وَالنَّوَافِذِ ، وَأَطْفَأَ النُّورَ . وَكَانَ صَوْتُ  
الطُّبُولِ لَا يَزَالُ يَدْوِي فِي أُذُنَيْهِ ، عَلِيًّا خُفِيفًا  
فِي سُكُونِ اللَّيْلِ . وَبَقِيَ هَكَذَا يَفْكُرُ فِي  
وَالِدِهِ وَيَدْعُو لَهُ ، حَتَّى غَلَبَهُ النَّعَاسُ فَنَامَ .

وَلَمْ يَدْرِ الْوَلَدُ كَمْ مِنَ الزَّمَنِ قَضَاهُ نَائِمًا ، حِينَ  
اسْتَيْقَظَ عَلَى صَوْتِ دَقِّ الْبَابِ . وَقَامَ مُنْشَجَعًا ،  
وَفَتَحَ الْبَابَ ، فَوَجَدَ وَالِدَهُ ، وَالْدَمُ يَسِيلُ مِنْ  
وَجْهِهِ بِزَرَارَةٍ ، وَفِي يَدِهِ قَاسٌ مَذْهُورَةٌ بِاللُّوْنِ  
الْأَحْمَرِ ، وَبِجَانِبِهِ رَجُلٌ مِنَ الْهُنُودِ الْحُمْرِ ،  
مَكْتُوفُ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ ، وَمُكْتَمُ الْقَمَمِ ،

فَقَالَ الْوَالِدُ : « هَا قَدْ أَحْضَرْتُ الْقَاسِ يَا بُنَيَّ ،  
وَقَعْتُ بِوَأَجِي . أَذْخَلْنَا كِلَانَا ، فَقَدْ كَسِرَ سَاقِي  
وَهْتَمَّ وَجْهِي ، وَكَذَا أُصِيبَ الرَّسُولُ الْهِنْدِيُّ  
إِصَابَاتٍ كَبِيرَةً ، لَعَدِمَ رَغْبَتِهِ فِي التَّفْرِيطِ فِي  
الْقَاسِ . »

وَمَا كَادَ الرَّجُلَانِ يَدْخُلَانِ ، حَتَّى سَقَطَا مِنْ  
فَرْطِ الْإِعْيَاءِ ، وَأَصَابَهُمَا إِعْمَاءٌ شَدِيدٌ . فَقَامَ  
الْوَلَدُ بِتَضْمِيدِ جِرَاحِهِمَا ، ثُمَّ فَكَّرَ فِي الْقَاسِ  
الْحَمْرَاءِ ، وَعَزَمَ عَلَى الْقِيَامِ بِالْوَأَجِبِ بَدَلِ وَالِدِهِ .  
فَأَخَذَ الْقَاسَ ، وَأَزَالَ عَنْهَا اللَّوْنُ الْأَحْمَرَ ،  
فَظَهَرَتْ بَيَاضٌ ؛ ثُمَّ ارْتَدَى مَلَابِسَ الْهُنُودِ ،  
الَّتِي أَعْطَتْهُ إِبَاهَا شُعَاعُ الْقَمَرِ هَدِيَّةً فِي يَوْمٍ مِنْ  
الْأَيَّامِ ، وَصَبَّغَ وَجْهَهُ ، ثُمَّ كَتَبَ عَلَى الْخَائِطِ  
رِسَالَةً لِوَالِدِهِ ، يَقُولُ فِيهَا إِنَّهُ خَرَجَ لِلِاسْتِكْشَافِ .  
وَسَارَ فِي ظِلَامِ النَّابَةِ وَدُرُوبِهَا الْمَوْحِشَةِ ، حَامِلًا  
الْقَاسَ ، مُسْتَرْشِدًا بِصَوْتِ الطُّبُولِ ، حَتَّى لَاحَ  
الْفَجْرُ ، وَابْدَأَ الضَّوُّ يَنْتَشِرُ ، وَهُوَ يَسِيرُ نَحْوَ  
الْقَبِيلَةِ مُسْرِعًا ، فَيَزِدُّادُ صَوْتُ الطُّبُولِ ارْتِفَاعًا ،  
وَرَأَى مِنْ خِلَالِ الْأَشْجَارِ أَفْرَادَ الْقَبِيلَةِ مُلْتَفِينَ  
حَوْلَ الطُّبُولِ ، حَامِلِينَ حِرَابَهُمْ وَسِهَامَهُمْ ، وَعَلَى  
مَقَرَّبَةٍ مِنْهُمْ رَئِيسُهُمْ ، الثَّمَلَبُ الْأَحْمَرُ ، وَبِجَانِبِهِ

مُسْتَشَارُهُ ، فَاسْتَجَمَعَ قَوْمَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ، فَوَقَفُوا  
جَمِيعًا صَارِخِينَ ، مُصَوِّبِينَ أَسْلِحَتَهُمْ نَحْوَهُ .  
لَكِنَّهُ اسْتَمَرَ فِي سَبِّهِ ، زَافِعًا رَأْسَهُ بِشَجَاعَةٍ ،  
حَتَّى وَصَلَ إِلَى الثَّمَلَبِ الْأَخْمَرِ ، ثُمَّ وَقَفَ مُطَرِّقًا  
فِي أَدَبٍ وَاحْتِرَامٍ . فَقَالَ لَهُ الثَّمَلَبُ الْأَخْمَرُ :

« مَنْ أَنْتَ ، وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ ؟ »

الْوَلَدُ : « أَنَا النَّسْرُ الصَّغِيرُ بْنُ « جَنَاحِ النَّسْرِ » ،  
وَقَدْ جِئْتُكَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنَ وَالِدِي . » وَرَفَعَ  
الْقَاسَ الْبَيَاضَ مُلَوِّحًا بِهَا فِي الْهَوَاءِ .

وَهُنَا تَارَ أَفْرَادُ الْقَبِيلَةِ ، غَاضِبِينَ صَاحِبِينَ ،  
ثُمَّ قَامَ مُسْتَشَارُ الرَّئِيسِ ، وَقَالَ : « أَلَيْسَ لَدَيَّ  
جَنَاحُ النَّسْرِ غَيْرُ وَلَدِهِ يُرْسِلُهُ الْبِنَاءُ . » فَرَدَّ  
عَلَيْهِ الْوَلَدُ قَائِلًا : « إِنَّ لَدَيَّ وَالِدِي مِنَ الشُّجْعَانِ  
مَا يَقُوقُ عَدَدَ النُّجُومِ ، وَلَكِنَّهُ أُرْسَلَا ، أَنَا  
ابْنُهُ ، مُبَالَغَةً فِي احْتِرَامِكُمْ . » فَلَمَّا سَمِعَ الثَّمَلَبُ  
الْأَخْمَرُ ذَلِكَ ، ابْتَسَمَ مُسْرُورًا مِنْ هَذَا الْمَدِيحِ  
وَقَالَ : « اسْمِعْ يَا بُنَيَّ ، إِنَّ وَالِدَكَ فَارِسٌ مَاهِرٌ  
لَا يَنْدِيهِ أَحَدٌ . وَالْوَلَدُ سِرُّ أَبِيهِ . فَهَلْ تَأْتِيكَ  
بِحِصَانٍ تَرْكَبُهُ ، فَتُبْرِهِنَ عَلَى أَنَّكَ حَقِيقَةُ ابْنِ  
جَنَاحِ النَّسْرِ ؟ » وَكَانَ الْوَلَدُ مَاهِرًا فِي رُكُوبِ  
الْخَيْلِ ، فَقَالَ : « لَقَدْ قُلْتُ إِنِّي ابْنُ جَنَاحِ

النَّسْرِ ، وَكَلِمَتِي كَافِيَةٌ يَجِبُ تَصْدِيقُهَا . وَلَكِنِّي  
مَعَ ذَلِكَ ، طَوْعًا لِإِرَادَتِكَ عَلَى اسْتِمْدَادِ  
لِتَنْفِيدِ رَغْبَتِكَ .

اسْتَوَلَتْ عَلَى الْفَارِسِ الصَّغِيرِ قُوَّةُ خَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ  
فَجَذَبَ اللَّجَامَ وَالْمَعْرِفَةَ بِشِدَّةٍ جَمَلَتْ الْحِصَانِ  
يَرْفَعُ سَاقِيهِ الْأَمَامِيِّينَ ، وَيَقِفُ عَلَى السَّاقِبَيْنِ



وهاج الحصان هياجاً شديداً

وَجَاءُوا لَهُ بِحِصَانٍ ، اسْمُهُ  
الشَّيْطَانُ الْأَسْوَدُ ، وَهُوَ  
مَشْهُورٌ بِشَرَّاسَتِهِ ، فَلَمْ يَسْقِ  
أَنْ رَكِبَهُ رَاكِبٌ إِلَّا اسْقَطَهُ  
مِنْ فَوْقِ ظَهْرِهِ . فَأَمْسَكَهُ  
الْوَلَدُ وَفَزَزَ بِخَفِّهِ عَلَى ظَهْرِهِ .  
وَهَاجَ الْحِصَانُ هَيْجًا شَدِيدًا ،  
وَأَخَذَ يَفْزُزُ بِعُنْفٍ ، وَيَدُورُ  
حَوْلَ نَفْسِهِ ، مُحَاوِلًا إِسْقَاطَ  
رَاكِبِهِ ، مِنْ غَيْرِ جَدْوَى .

الْخُلَفَاءَ وَحَدَثَهَا . وَظَلَّ الْوَلَدُ يَشُدُّ اللَّجَامَ  
بِقُوَّةٍ ، حِينَ وَجَدَ أَنَّ الْحِصَانِ ، إِذَا نَزَلَ ، دَاسَ  
الْفَتَاةَ تَحْتَ أَقْدَامِهِ ، وَاسْتَرَّ بِشُدِّ اللَّجَامِ ، حَتَّى  
الْكَفَّ الْحِصَانُ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَسَقَطَ الرَّاكِبُ .  
وَوُجِبَ الْوَلَدُ عَنْ صَوَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الصَّدْمَةِ ، وَأَفَاقَ  
عِنْدَ مَا شَعَرَ بِبَيْدِ رَقِيقَةٍ تَمَسُّ وَجْهَهُ بِخَفِّهِ وَحَنَانٍ ،  
فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَرَأَى شِعَاعَ الْقَمَرِ بِجَوَارِهِ ،  
لَشُكْرِهِ وَنَشْجُمِهِ . وَجَاءَهُ الثَّغْلُبُ الْأَحْمَرُ ،

وَأَزْدَادُ غَيْظِ الْحِصَانِ ، فَأَنَدَتْ بِخُـ——رى  
نَحْوِ الْجُمُوعِ الْمُحْتَشِدَةِ مِنْ أَفْرَادِ الْقَبِيلَةِ ،  
فَتَبَعَتْهُمَا هَرْبًا مِنْ بَطْشِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ فِتَاةٍ  
صَغِيرَةٍ ، تَبْنِيهَا الْوَلَدُ ، فَإِذَا بِهَا شِعَاعُ الْقَمَرِ .  
وَكَانَ الْحِصَانُ عَلَى وَشْكِ أَنْ يَطَّأَهَا تَحْتَ حَوَافِرِهِ  
فَصَرَخَ النَّاسُ ، وَتَوَاعَى الثَّغْلُبُ الْأَحْمَرُ : « ابْنَعِدِي  
يَا شِعَاعَ الْقَمَرِ ، ابْنَعِدِي ! » وَالْفَتَاةُ وَاقِفَةٌ فِي  
مَكَانِهَا لَا تَتَحَرَّكُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْهَلَجِ . وَحِينَئِذٍ

رَبِيسُ الْقَبِيلَةِ ، وَهُوَ يَحْمِلُ فِرَاءً كَبِيرًا ، وَيَقُودُ  
حِصَانًا هَادِنًا حَمِيلًا ، وَقَالَ لَهُ : « أَهْنُتُكَ أَيُّهَا  
النَّسْرُ الصَّغِيرُ عَلَى إِشْجَاعَتِكَ ، وَأَشْكُرُكَ عَلَى  
مَا فَعَلْتَ مِنْ أَجْلِ ابْنَةِ أَخِي . لَقَدْ حَضَرْتَ  
إِلَيْنَا مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْكَ ، تَرْجِفُ مِنَ الْبَرْدِ ،



رَبِيسُ الْقَبِيلَةِ وَهُوَ يَحْمِلُ فِرَاءً كَبِيرًا يَهْدِيهِ لَوْلَاهُ مَعَ حِصَانٍ هَادِنٍ . جِيلٌ

وَمَحْنُ نُعِيدُكَ إِلَى أَخِيْنَا جَنَاحِ النَّسْرِ ، رَأَى كَبَا  
حِصَانًا مِنْ أَحْسَنِ جِيَادِنَا ، وَمُرْتَدِيًا فِرَاءً مِنْ  
أَنْفُسِ مَا لَدَيْنَا ، مُتَمَعِّينَ لَكَ سَفَرًا سَعِيدًا ،  
وَرَاجِينَ إِبْلَاحَ نَحْيَاتِنَا إِلَى وَالِدِكَ الْمَحْبُوبِ . «  
وَلَمْ يُصَدِّقِ الْوَلَدُ أَنَّهُ نَجَا فِعْلًا ، فَرَكِبَ  
الْجُودَاءُ ، وَانْتَفَ بِالْفِرَاءِ ، وَسَارَ مُسْرِعًا . وَلَكِنَّهُ